كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت بعنوان "واقع الرسالة التربويّة المسيحيّة بين المدارس والجامعة"، في مؤتمر تحت عنوان "الرسالة التربويّة في لبنان واقع وتحديّات"، يوم الإثنين الواقع فيه ٢٥ تشرين الأوّل ٢٠٢١، في المركز الكاثوليكي للإعلام – جلّ الديب

١- نعرف الأهميّة التي توليها الكنيسة الكاثوليكيّة للتربية المدرسيّة والجامعيّة والمهنيّة لأنّ التعليم هو من الطرق الأساسيّة لبناء شخصيّة الإنسان والمواطن الملتزم بأخلاق الإنجيل ومنظومة الحقوق والواجبات الإنسانيّة وبناء الفرد المثقّف المتعلّم الكفؤ المتزّود بالمهارات المتنوّعة. فالتربية والتعلُّم هو ما يزيد الكرامة البشرّية الشخصيّة تألّقًا وارتقاءً، كما تشير إليه بالأمس البعيد وثيقة المجمع الفاتيكاني الثقافي في التربية المسيحيّة. وهي تعطي المدرسة أهميّة خاصّة حيث إنّها بقوّة رسالتها تنمّي القوى العقليّة نموًّا مضطردًا وتمكّن من إعطاء الحكم الصائب وتُدخِل الإنسان إلى التراث الثقافي الموروث عن الأجيال السابقة، وهي تشجّع معنى القِيَم وتعدّ للحياة المهنيّة والجامعيّة وهي تخلق روح الصداقة بين التلامذة المساعد على التفاهم المتبادل الذي يعمل على تكوين المواطن المسؤول. أمّا الجامعة بما تكتنزه من الاختصاصات العلميّة المتنوّعة وخاصّة التكنولوجيات الحديثة إنّما تقود إلى معرفة أعمق لكيفيّة وحدة الإيمان والعقل في البلوغ إلى الثقافة الإنسانيّة السامية. وهذه الجامعات تثقّف الشباب والشابات تثقيفًا يخوّلهم أن يتعارفوا وأن يتحمّلوا معًا المهمّات الجسام في المجتمع والوطن. والكنيسة تفتخر بأن يكون لديها أكثر من ١٢٦ ألف مدرسة في العالم إلى جانب ما يزيد على ألف جامعة تقوم بواجبها في التربية وتعليم الإجيال الجديدة.

٢- وبالأمس القريب في الحادي والعشرين من شهر تشرين الأوّل ٢٠٢٠، أي منذ سنة على وجه التقريب، أطلق البابا فرنسيس نداءًا عالميًّا لاعتماد ميثاق عالمي شامل للدفاع عن التربية التي هدفها إخراج الشبيبة من حالة الجهل، خصوصًا وأنّ الجائحة وما فرضته من إغلاق للمدارس ومعاهد التعليم حَرَمَ مئات الملايين من الأطفال والشباب (٢٥٠ مليون) من متابعة دروسهم. يقول قداسته:

"نعتقد أنّ التربيّة هي أحد أكثر الطرق فعاليّة لأنسنة العالم والتاريخ. التربيّة قبل كلّ شيء هي مسألة محبة ومسؤوليّة تنتقل عبر الزمن من جيل إلى جيل.

لذلك، فإنّ التربيّة تُقدم نفسها على أنّها المضاد الطبيعي للثقافة الفرديّة، التي تتدنَّى أحيانًا فتصير العبادة الحقيقية للأنا وتعطي الأولويّة للامبالاة. لا يمكن أن يكون مستقبلنا انقسامًا وإفقارًا لقدرة الفكر والخيال والإصغاء والحوار والتفاهم المتبادل. لا يمكن أن يكون مستقبلنا هذا".

نوجه نداء بصورة خاصة، في كلّ جزء من العالم، إلى رجال ونساء الثقافة والعلم والرياضة والفنانين وموظفي وسائل الإعلام، حتى يوّقعوا هم أيضًا على هذا الميثاق، فيصبحوا بشهاداتهم وعملهم من دعاة قيم العناية والسلام والعدل والخير والجمال وقبول الآخر والأخوّة. "ليس علينا أن ننتظر كلّ شيء من الذين يحكموننا، فهذا تصرّف طفوليّ. فنحن نملك فسحة من المسؤولية المشتركة، قادرة على إطلاق وإنشاء عمليّات وتحوّلات جديدة. علينا أن نكون نشطين في إعادة تأهيل المجتمعات المجروحة ومساندتها. إنّنا اليوم أمام فرصة عظيمة لإظهار جوهرنا الأخويّ، ولأن نكون سامريّين صالحين آخَرين يتحمّلون ألمَ الفشلِ، بدلًا من التحريض على الكراهية والضغينة".

لهذه الأسباب نحن ملتزمون بشكل شخصي ومعًا بما يلي:

·أن نضع الإنسان وقيمته وكرامته في مركز كلّ عمليّة تربويّة رسميّة وغير رسميّة.

·ثانيًا: أن نصغي إلى أصوات الأطفال والفتيان والشباب الذين ننقل إليهم القيم والمعرفة، حتى نبني معًا مستقبل عدلٍ وسلام، وحياة كريمة لكلّ إنسان.

·ثالثًا: أن نشجع المشاركة الكاملة للبنات الصغيرات، والفتيات في التعليم.

·رابعًا: أن نعتبر العائلة المربيّة الأولى التي لا غنى عنها.

·خامسًا: أن نربي الأجيال الصاعدة وأنفسنا على حسن الاستقبال، وأن ننفتح على أكثر الناس ضعفًا واستبعادًا.

·سادسًا: أن نلتزم بالدراسة لإيجاد طرق أخرى لفهم الاقتصاد والسياسة والنمو والتقدم.

·سابعًا: أن نحرس وأن نهتم بتنمية بيتنا المشترك، وأن نحميه من سوء استغلال موارده.

هذه الدعوة إلى الميثاق التربوي الشامل إنّما توجّه إلينا نحن في لبنان لأنّ الانهيار الحاصل إلى حدٍّ ما هو بحاجة إلى ميثاق بين مختلف فرقاء التربية في مدارسها ومعاهدها ومؤسّساتها للذود عنها وإعادتها إلى قدرتها في تأدية الرسالة التي قامت وتقوم بها منذ أجيال. فالمدرسة والجامعة التي تقول إنّها سبقت في وجودها إعلان دولة لبنان الكبير لا بل إنّها في رسالتها كانت تحضّر لإعلان الدولة هل تستطيع اليوم الاستمرار في أداء رسالتها؟ فبعد أن كانت التربية والمدرسة والجامعة مؤسّسات مجتمعيّة ناجحة متألّقة في صقل قدرات الشبيبة من

التلامذة والطلاب وإعداد الموارد البشريّة الأفضل في هذه المنطقة العربيّة والشرقيّة عمومًا وهم برهنوا عن ذلك بمهنيّتهم وكفاءاتهم في العديد من البلدان حتى إنّهم ساهموا الإسهام القويّ في تحويل الصحراء إلى مناطق حضاريّة لها أثبتت حضورها وتمايزها. إلاّ أنّنا اليوم لا نشهد فقط إنهيارًا وصعوبات على مستوى التربية وبرامجها بل إنّ هذه المؤسّسات نفسها لم تعد قادرة على تحمّل الحدّ الأدنى للأعباء التي تفرضها العمليّة التربويّة في ظلّ فقدان الليرة اللبنانيّة قيمتها وارتفاع أسعار المحروقات المستهلكة لكامل أجر الأستاذ والموظّف.

القضيّة اليوم عندما نرى امتداد الأزمة إلى أيّام آتية نتمنّى أن لا تكون مديدة هي قضيّة استمراريّة وجود المدرسة والمعلّم الأستاذ والجامعة في ظلّ الهجرة المتواصلة لا للأساتذة فقط بل الأسر وللتلامذة وللطلاب إلى أصقاع أخرى يجدون فيها ولو شكلاً الأمن الاقتصادي والاجتماعي. ما بين السنوات ١٩٧٥ و١٩٩٠ اختفت أكثر من مئتي مدرسة كاثوليكيّة من الخارطة التربويّة اللبنانيّة، فهل نترك الأزمة تنتصر علينا اليوم وغدًا بشكل تختفي معها ٢٠٠ مدرسة أخرى أكانت مجانية أم لا.

هي قضيّة استمراريّة وجود المؤسّسات التربويّة، بل في الواقع هي ايضًا قضيّة استرداد ولو جزء يسير من الجودة التي كانت تتمتّع بها من قبل اندلاع وباء الكورونا الذي فرض التعليم عن بُعد منذ عشرين سنة كذلك بما يتضّمن جوانب إيجابيّة وكذلك من سلبيات يراها اليوم الأساتذة في الجامعة والمدرسة بأنّ أمرًا جللاً قد حدث كما لو أن التلميذ والطالب لم يعرف المدرسة والجامعة وهذا يعني أنّ على الجامعة والمدرسة مع التعليم الحضوري إدخال الشاب إلى المجتمع وتثقيفه على العيش مع الآخر واحترام حريّة الدخول في ما نسمّيه المسؤليّة الاجتماعيّة المشتركة.

من هنا، الميثاق التربوي اللبناني يقول:

أوّلاً على السلطات الرسميّة اللبنانيّة أن تدعم التربية كما الصحّة وهو أمر ضروريّ لاستقامة الحياة للمجتمع وبأنّ فقدان التربية مقوّماتها ومؤسّساتها إنّما هو القضاء على جزء أساسي من هويّة لبنان التي تشكّل منذ منتصف القرن التاسع عشر على الأقلّ، وبالتالي على الدولة أنّ تفرد جزءًا من الأموال التي ما زالت مجمّدة وقد أقرّها البنك الدولي والصندوق النقدي الدولي إلى لبنان.

ثانيًا أنه دور الحوكمة التربية أكانت رسميّة أم خاصّة وهي وطنيّة أن تعمل بحكمة ورشد ووعي على شبك العناصر المؤسّسة للتربية بعضها ببعض الآخر للعمل معًا من أجل إنقاذ هذا الكنز اللبناني الذي يسمّيه التربية.

ثالثًا نحن أهل الرجاء ولدينا الإيمان بأنّنا سنخرج من هذه الأزمة ومن هذا الإنهيار. من هذا المنظور الخروج من الأزمة مؤسّس على التضامن الاجتماعي بين المقتدرين الذين يساهمون بعطاءاتهم في إنقاذ التربية وبين المؤسّسات التربويّة وإذا كنّا نريد أن نكون واقعيين ينبغي لنا تفعيل علاقاتنا الدوليّة لمساعدة المؤسّسات خصوصًا تلك التي تقع في الأطراف أو في بؤر التخلّف الاجتماعي. لا بدّ من الإنقاذ التربوي، إلاّ أنّه في الواقع إنقاذ لبنان!

رابعًا من ضمن هذا الميثاق نعمل معًا لئلاّ يكون أيّ طالب خارج المدرسة أو الجامعة فنعطي بارقة أمل للذين لم يعودوا مؤمنين بالرجاء.

خامسًا لنكن مقتنعين من أنّ ما يجري ليس وليد صدفة بل أنّ هناك أيادٍ تعبث بالأسس التي قام عليها لبنان ومنها النظام التربوي. فجوابنا هو العمل من أجل الاستمرار مقدمة للاستقرار والحفاظ على الهويّة اللبنانيّة